

الدُّرُوسُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ حَجَّةِ الْوُدَاعِ ٩ ذُو الْحِجَّةِ ١٤٤٣ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: كُلَّمَا جَاءَ شَهْرُ ذِي الْحِجَّةِ، وَهَلَّتْ مَوَاقِيتُ الْحَجِّ، تَأَلَّقَتْ صَفْحَةٌ مِنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، وَوَقَفَهُ مِنْ وَقَفَاتِ الرَّسُولِ ﷺ. فَمِنْ أَهَمِّ مَعَالِمِ رِحْلَةِ الْحَجِّ، إِلَى جَانِبِ آدَاءِ الْمَنَاسِكِ الْعِبَادِيَّةِ: تِلْكَ الْمَعَانِي الْجَامِعَةُ، وَالْمَبَادِيُ الْبَلِيغَةُ، الَّتِي خَاطَبَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ. مَبَادِيُ سُكِبَتْ مَعَ عِبَارَاتِهَا دُمُوعُ الْوُدَاعِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سُمِّيَتْ «خُطْبَةَ الْوُدَاعِ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ اشْتَمَلَتْ خُطْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَةَ عَلَى دُرُوسٍ وَعَبْرٍ عَظِيمَةٍ، وَلَعَلَّنَا نَسُوقُ نَصَّ الْخُطْبَةِ، وَنَأْخُذُ مِنْهَا الدُّرُوسَ وَالْعَبْرَ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: فَاتَى - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضْعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ، فَقَتَلْتَهُ هُذَيْلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبَا أَضْعُ رَبَانَا، رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحَلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا تَكَرُّهُنَّ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِضْبَعِهِ السَّبَابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

هَكَذَا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَتَهُ بِبَيَانِ حُرْمَةِ الدِّمَاءِ، حَيْثُ قَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا».

وَقَدْ بَيَّنَّ رَبُّنَا ﷻ عِظَمَ جُرْمٍ مَنْ اجْتَرَأَ عَلَى الدِّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَتَوَعَّدَهُ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ الْمُخِيفِ لِكُلِّ ذِي قَلْبٍ حَيٍّ يَقِظٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمَّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ

يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا»، وَأَخْرَجَا أَيْضًا عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ، الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفَكَ الدَّمَ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ»، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَقْتُلُ الْمُؤْمِنَ مُتَعَمِّدًا، أَوْ الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا»، بَلْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ قَتْلَ مُؤْمِنٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا، أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَتْلُ مُؤْمِنٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا».

– أَمَّا عَنْ حُرْمَةِ الْأَمْوَالِ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «الْكِبَائِرُ»: أَيُّ لَا يَأْكُلُ بَعْضُكُمْ مَالَ بَعْضٍ بِالْبَاطِلِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَعْنِي بِالْيَمِينِ الْبَاطِلَةَ الْكَاذِبَةَ، يَقْتَطِعُ بِهَا الرَّجُلُ مَالَ أَخِيهِ بِالْبَاطِلِ. وَالْأَكْلُ بِالْبَاطِلِ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى جِهَةِ الظُّلْمِ نَحْوَ: الغُصْبِ، وَالخِيَانَةِ، وَالسَّرِقَةِ.

وَالثَّانِي: عَلَى جِهَةِ الهَزْلِ وَاللَّعِبِ، كَالَّذِي يُؤْخَذُ فِي القِمَارِ وَالْمَلَاهِي وَنَحْوِ ذَلِكَ. اهـ

عِبَادَ اللَّهِ: وَمِنَ الْمَبَادِيِ الَّتِي قَرَّرْتَهَا كَذَلِكَ هَذِهِ الخُطْبَةُ الْعَظِيمَةُ: إِبْطَالُ وَإِغَاءُ الْأَعْرَافِ وَالتَّقَالِيدِ الْمُخَالَفَةِ لِلشَّرْعِ. فَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ هُمَا الْمِيزَانُ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ الْحَقُّ، وَيَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْعَدْلِ، وَكُلُّ مَا يُخَالَفُ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ أَعْرَافِ الْقَبَائِلِ، أَوْ عَادَاتِ التُّجَّارِ، أَوْ عَمَلِ أَهْلِ الْعَصْرِ، كُلُّ ذَلِكَ بَاطِلٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ اعْتِبَارٌ، أَوْ أَنْ تُعَارِضَ بِهِ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَمِمَّا أَبْطَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الخُطْبَةِ الْعَظِيمَةِ الرَّبَا. حَيْثُ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبَا أَضْعُ رَبَانَا، رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ».

وَمَخَاطِرُ الرَّبَا كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا:

الْأَوَّلُ: أَكَلُ الرَّبَا يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالْمَجْنُونِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي

يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ

رَبِّهِ فَاَنْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣﴾.

الثَّانِي: يَمْحَقُ اللَّهُ أَمْوَالَ الرَّبَا وَيُغْنِيهَا. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ».

الثَّالِثُ: التَّعَامُلُ بِالرَّبَا يُوقِعُ فِي حَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

الرَّابِعُ: أَكَلَ الرَّبَا يُوقِعُ صَاحِبَهُ فِي اللَّعْنَةِ، فَيَبْعُدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكِلَ الرَّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيهِ، وَقَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ».

الخَامِسُ: أَكَلَ الرَّبَا يُعَذِّبُ بَعْدَ مَوْتِهِ بِالسَّبَاحَةِ فِي نَهْرٍ مِنْ دَمٍ، وَتُقَذَّفُ فِي فِيهِ الْحِجَارَةُ فَيَرْجِعُ فِي وَسْطِ نَهْرِ الدَّمِ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ، وَعَلَى وَسْطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ أَكَلَ الرَّبَا».

السادسُ: أَكَلَ الرَّبَا مِنْ أَعْظَمِ الْمُهْلِكَاتِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبِّقَاتِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشَّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرَّبَا، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ».

السَّابِعُ: أَكَلَ الرَّبَا يُسَبِّبُ حُلُولَ الْعَذَابِ وَالذَّمَارِ. أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ،

وَحَسَنَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «غَايَةِ الْمَرَامِ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ»، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُشْتَرَى الثَّمَرَةُ حَتَّى تُطْعِمَ، وَقَالَ: «إِذَا ظَهَرَ الزُّنَى وَالرَّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحْلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ»، وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهٍ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«الرَّبَا سَبْعُونَ حُوبًا، أَيْسَرُهَا أَنْ يَنْكَحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ». قَالَ السَّنْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «حَاشِيَتِهِ عَلَى سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ»: قَوْلُهُ: «سَبْعُونَ حُوبًا»: الْمُرَادُ: إِنَّهَا سَبْعُونَ نَوْعًا مِنَ الْإِثْمِ، وَالْمُرَادُ التَّكْثِيرُ دُونَ التَّحْدِيدِ، وَبِهِ يَظْهَرُ التَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَالْحَدِيثِ الْآتِي. «أَيْسَرُهَا»: أَي: أَخْفُ تِلْكَ الْإِثَامِ إِثْمُ نِكَاحِ الرَّجُلِ أُمَّهُ، فَالْحَدِيثُ يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الرَّبَا أَشَدُّ مِنَ الزِّنَى.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَمِمَّا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: الْوَصِيَّةُ بِالنِّسَاءِ، وَبَيَانُ حُقُوقِهِنَّ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ مِمَّا يُحْفَظُ بِهِ الْوُدُّ، وَتَتَمُّ بِهِ الْأَلْفَةُ، وَتُسْتَدَامُ بِهِ الْمَحَبَّةُ، وَيَتَمُّ بِهِ حُسْنُ الْعِشْرَةِ، فَقَالَ ﷺ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا تَكَرُّهُنَّ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ». وَبِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ الْجَامِعَةِ الْعَظِيمَةِ بِالنِّسَاءِ ضَرَبَ رَسُولُ الْهُدَى ﷺ أَرْوَاعَ الْأَمْثَالِ فِي التَّقْدِيرِ الْحَقِّ لَا الزَّائِفِ لِلْمَرْأَةِ، وَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَعُدْ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ كَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَأَنَّهَا مِنْ سِقْطِ الْمَتَاعِ، لَا كَرَامَةِ لَهَا وَلَا حُرْمَةٍ، وَلَا رَأْيٍ وَلَا مَكَانَةَ، بَلْ أَصْبَحَتْ فِي الْإِسْلَامِ شَقِيقَةَ الرَّجُلِ، لَهَا مِنَ الْحُقُوقِ مِثْلُ مَا لَهُ مِنَ الْحُقُوقِ، وَعَلَيْهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

عِبَادَ اللهِ: مَنْ أَرَادَ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ وَالسَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَعْمَلْ بِهَذِهِ التَّوَجِّهَاتِ النَّبَوِيَّةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي يَوْمِنَا هَذَا، يَوْمِ عَرَفَةَ، وَقَفَ إِخْوَانُنَا الْمُسْلِمُونَ فِي عَرَفَةَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ صَلَّوْا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمْعًا، فَيَا لَشَوْقِنَا إِلَى هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ، قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي قَصِيدَتِهِ «الْمِيمِيَّةِ»:

أَمَا وَالَّذِي حَجَّ الْمُحِبُّونَ بَيْتَهُ      وَلَبَّوْا لَهُ عِنْدَ الْمَهَلِّ وَأَحْرَمُوا

لِعِزَّةٍ مَنْ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتُسَلِّمُ  
لَكَ الْمُلْكَ وَالْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ تَعْلَمُ  
فَلَمَّا دَعَا وَهُوَ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُمْ  
وَعُجْرًا وَهُمْ فِيهَا أَسْرٌ وَأَنْعَمُ  
وَلَمْ تُثْنِيهِمْ لَذَاتِهِمْ وَالتَّعْنَمُ  
رِجَالًا وَرُكْبَانًا وَلِلَّهِ أَسْلَمُوا  
قُلُوبُ الْوَرَى شَوْقًا إِلَيْهِ تَضَرَّمُ  
لِأَنَّ شِقَاقَهُمْ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُمْ  
وَأُخْرَى عَلَى آثَارِهَا لَا تَقْدَمُ  
فَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدُّمُوعِ وَيُسْجِمُ  
وَزَالَ عَنِ الْقَلْبِ الْكَيْبِ التَّالْمُ  
إِلَى أَنْ يَعُودَ الطَّرْفُ وَالشَّوْقُ أَعْظَمُ  
إِلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَنُ فَهُوَ الْمُعْظَمُ  
عَلَيْهَا طِرَازُ بِالْمَلَا حَةِ مُعْلِمُ  
وَتَخَضَّعُ إِجْلَالًا لَهُ وَتُعْظَمُ  
وَمَغْفِرَةٌ مَمَّنْ يُجُودُ وَيُكْرَمُ  
كَمَوْقِفِ يَوْمِ الْعَرْضِ بَلْ ذَاكَ أَعْظَمُ  
يُبَاهِي بِهِمْ أَمْلَاكُهُ فَهُوَ أَكْرَمُ  
وَأَنْبِي بِهِمْ بَرُّ أَجُودُ وَأَرْحَمُ  
وَأَعْطَيْتَهُمْ مَا أَمْلَأُوهُ وَأَنْعَمُ  
بِهِ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ وَيَرْحَمُ  
وَأَخْرُ يُسْتَسْعَى وَرَبُّكَ أَرْحَمُ  
وَأَحْقَرُ مِنْهُ عِنْدَهَا وَهُوَ أَلْأَمُ  
فَأَقْبَلَ يَحْثُو التُّرْبَ غَيْظًا وَيَلْطِمُ  
وَمَغْفِرَةٌ مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ تُقَسِّمُ  
تَمَكِّنَ مِنْ بُيُوتِهِ فَهُوَ مُحْكَمُ  
فَخَرَّ عَلَيْهِ سَاقِطًا يَتَهَدَّمُ  
إِذَا كَانَ بَيْنِيهِ وَذُو الْعَرْشِ يَهْدِمُ

وَقَدْ كَشَفُوا تِلْكَ الرُّؤُوسَ تَوَاضَعًا  
يُهْلُونَ بِالْبَيْدَاءِ لَبَّيْكَ رَبَّنَا  
دَعَاهُمْ فَلَبَّوهُ رِضًا وَمَحَبَّةً  
تَرَاهُمْ عَلَى الْأَنْضَاءِ شُعْثًا رُؤُوسُهُمْ  
وَقَدْ فَارَقُوا الْأَوْطَانَ وَالْأَهْلَ رَغْبَةً  
يَسِيرُونَ مِنْ أَقْطَارِهَا وَفَجَاجِهَا  
وَلَمَّا رَأَتْ أَبْصَارُهُمْ بَيْتَهُ الَّذِي  
كَانَتْهُمْ لَمْ يَنْصَبُوا قَطُّ قَبْلَهُ  
فَلِلَّهِ كَمِ مِنْ عِبْرَةٍ مُهْرَاقَةٍ  
وَقَدْ شَرِقتْ عَيْنُ الْمُحِبِّ بِدَمْعِهَا  
إِذَا عَايَنَتْهُ الْعَيْنُ زَالَ ظِلْمُهَا  
وَلَا يَعْرِفُ الطَّرْفُ الْمُعَايِنُ حُسْنَهُ  
وَلَا عَجَبٌ مِنْ ذَا فَحِينٍ أَضَافَهُ  
كَسَاهُ مِنَ الْإِجْلَالِ أَعْظَمَ حُلَّةٍ  
فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلِّ الْقُلُوبِ تُجْبُهُ  
وَرَا حُوا إِلَى التَّعْرِيفِ يَرْجُونَ رَحْمَةً  
فَلِلَّهِ ذَاكَ الْمَوْقِفُ الْأَعْظَمُ الَّذِي  
وَيَذْنُوبِ بِهِ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ  
يَقُولُ عِبَادِي قَدْ أَتَوْنِي مَحَبَّةً  
فَأُثْبِتُكُمْ أَنْبِي غَفَرْتُ ذُنُوبَهُمْ  
فَبُشْرَاكُمْ يَا أَهْلَ ذَا الْمَوْقِفِ الَّذِي  
فَكَمِ مِنْ عَتِيقٍ فِيهِ كُمَّلَ عِتْقُهُ  
وَمَا رُؤْيَى الشَّيْطَانُ أَغْيَظَ فِي الْوَرَى  
وَذَاكَ لِأَمْرِ قَدْ رَأَهُ فَعَاظَهُ  
وَقَدْ عَايَنَتْ عَيْنَاهُ مِنْ رَحْمَةٍ أَنْتَ  
بَنَى مَا بَنَى حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ  
أَتَى اللَّهَ بُيُوتًا لَمْ يَنْسِ مِنْ أَسَاسِهِ  
وَكَمْ قَدْرُ مَا يَعْلُو الْبِنَاءُ وَيَنْتَهِي